أثر الدلالة على النحو عند الأصفهاني من خلال كتابه المفردات "التعدية نموذجاً"

د. إحسان حسن صالح عبدالرحمن(*)

المستخلص

هدفت الدراسة إلى تناول شخصية الأصفهاني ولفت نظر الباحثين إلى طريقته الفريدة في عرضه للمسائل النحويَّة. واتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي وجمعت البيانات من المصادر الثانوية المتمثلة في آراء علماء النحو من أُمهات الكتب، وخلصت الدراسة إلى الآتي:

اهتمَّ الأصفهاني بعلم الدلالة في مسائله النحوية بغرض تحديد المعنى الدقيق للفعل من الأفعال أو الحرف من الحروف، أو الاسم من الأسماء، وتحديد المعنى وعلاقته بالنحو هو اهتمام عظيم الشأن؛ إذ من خلاله تتبين لنا القاعدة من القواعد أو الموقع الإعرابي للكلمة من الكلمات.

وتحديد المعنى وعلاقته بالتعدية؛ هو أن الفعل تُعرف تعديته إلى واحد أو اثنين على ضوء معناه وقد اهتمَّ الأصفهاني بالدلالة بجميع فروعها من اهتمام بالسياق والتضام والتضاد إلى الاهتمام بالمشترك اللفظي وقد ألقى ذلك الاهتمام بظلاله على درسه النحوي

ومن ذلك:

يسلك" الأصفهاني "في تناوله للمسائل النحويَة طريقاً متدفقاً بالمعاني الجميلة الأخاذة مستدلاً في ذلك بالقرآن وبمعاني مفرداته التي يقدمها برهاناً قويَاً تتهدم عنده كل الحجج.

وهو فوق ذلك يمتلك قوة فذةً في الربط بين المعاني، التي تتبين من خلالها عظمة القرآن الكريم في نظمه، وبديع فوائده.

وقد تميز من بين سائر العلماء بتناوله للمسألة وشرح مفرداتها وإبداء رأيه فيها وفقا لذلك ومن غير أي إشارة لآراء من سبقوه. وفي اختصاره للمسائل النحوية نجده يورد القضية وفي طيها البرهان العقلي من القرآن. ويتعمق في معاني الأفعال حتى يتبين لمستخدمها المعنى الذي يسعى لبيانه.

(*) أستاذ مساعد – جامعة القصيم.

ويركز على مسألة التحقق من معنى الفعل الذي يراد تعديته وعلى عدم تحميل فعل معني فعل آخر من غير تدبُر لمعناه. ويركز كذلك على تحري الدليل الذي يجعل فعلا ما حاملاً لمعنى فعل آخر..... وينطلق بنا إلى آفاق رحبة لمعنى الفعل الواحد. .....

ABSTRACT

Al-Asfahani deals with Semantics from the angel of polysemy, antonymy, prefixes and suffixes and context. And this has affected grammar, as an example…

This research is titled" Some of Asfahani's Views in the Matter of Transitive Verbs."The research deals with Asfahani's personality and draws the attention of researchers to his unique way in presenting the grammatical issues.

Here are some examples:

In his handling of the grammatical issues, Asfahani follows a path flowing with beautiful and spectacular meanings. He takes Quran and its vocabulary as a strong evidence which throws away all arguments.

Above that Asfahani possesses a brilliant strength in linking meanings which illustrate the greatness of Quran, how it is organized and amazingly beneficial.

Asfahani was distinguished among other scholars by managing this issue and showing his opinion in explaining the vocabulary without indicating the views of his predecessors.

In summarizing the endless grammatical issues, he cites the case with a mental proof from the Quran.

He goes deep in explaining the meanings of verbs which make it easy for those who use the verbs to find their aims.

Asfahani focuses on the issue of verifying the meaning of the transitive verb and concentrates on the matter of putting the meaning of a verb in the place of another.

Asfahani also focuses on investigating the evidence that makes a verb takes the meaning of another verb and leads us to broad prospects for the meaning of a one verb

المقدمة:

نزل القرآن بلغة العرب؛ ليفقهوه؛ ولأنّ لسانهم عربيّ، وقد كانوا يؤدبون صبيانهم بلغته حتى ينشئوا على معرفةٍ بتعاليمه وأحكامه

قال تعالى في محكم تنزيله ﴿ إِنَّا أنزلناهُ قرْآناً عربيّاً لَعلَّكُم تَعْقِلون ﴾[1]، أي أنزلنا هذا الكتاب المبين قرآناً عربياً على العرب، لأنَّ لسانهم وكلامهم عربي، فأنزلنا هذا الكتاب بلسانهم ليعقلوه ويفقهوا منه. " [2]

ولقد كان القرآن مفهوماً للصحابة والتابعين ومن أتى بعدهم، حتى تفشَّى اللحن في عصرنا الحاضر نتيجة تأثر الأجيال بوسائل الاتصال الحديثة وتأثرت تبعاً لذلك المصطلحات اللغوية من قواعد النحو، والإعراب، والتصريف، والاشتقاق والمعاني، والبيان.

وكأنَّ" الراغب الأصفهاني" قد فطن لهذا الأمر واستعد له؛ بتأليفِهِ لكتابِهِ "المفردات في غريب القرآن"؛ لِيُفْهَم القرآن من السياق اللُّغويّ مع الاهتمام بدلالة الكلمة وما تحتمله من معانٍ حتى الوصول بها إلى معنى دقيقٍ وواضحٍ يُفْهَم من خلاله النص القرآني. لذا يجب علينا الاهتمام بتلك الذخيرة اللُغويَّة التي احتوى عليها المؤَّلف والاهتمام بالسياق اللُّغوي، ومعرفة الموقع الإعرابي الصحيح للكلمة حتى يتبين لنا معنى النص القرآنيّ وتفسيره الصحيح. قال العلامة بن القيم رحمه الله[3](وينبغي أن يتفطن هنا لأمر لا بد منه وهو أنَّه لا يجوز أن يحمل كلام الله عز وجل ويعتبر بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي الذي يحتمله ترتيب الكلام، ويكون الكلام به له معنى ما فإنَّ هذا مقام غلط فيه أكثر المعربين للقرآن. ..... فتدبر هذه القاعدة ولتكن منك على بال فإنَّك تنتفع بها في معرفة ضعف كثير من أقوال المفسرين وزيفها وتقطع أنَّها ليست مراد المتكلم تعالى بكلامه فهذا أصل من أصوله بل هو أهمَّ أصوله)[4]

---

(1)- الآية 2 من سورة يوسف

(2)- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان .تأليف أبي عبد الله محمد ابن أحمد بن أبي بكر القرطبي ت 671هـ تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي (1-34)

(3)- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية المتوفى (1292 .1349) من علماء المسلمين في القرن الثامن الهجري وصاحب المؤلفات العديدة، عاش في دمشق ودرس على يد ابن تيمية الدمشقي ولازمه قرابة 16 عاماً وتأثر به، الدرر الكامنة (4.221).

(4)- بدائع الفوائد محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزيه المتوفى (691 . 751) تحقيق علي بن محمد العمران .طبعة مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي النحوية دار علم الفوائد (3 .28.26).

ولهذا يسلك" الأصفهانيّ في تناوله للمسائل النحوية طريقاً متدفقاً بالمعاني الجميلة الأخاذة مستدلّاً في ذلك بالقرآن وبمعاني مفرداته التي يقدمها برهاناً قويّاً تتهدم عنده كل الحجج.

إنَّ علاقة التفسير باللغة علاقة وثيقة؛ لأنَّ فهمه يتم من خلال فهم اللغة وتأصيل اللغة يتم بالاستشهاد بالقرآن، والاهتمام به، وفهم معانيه، "والاهتمام بالقرآن ومعانيه هو اهتمام بالحياة كلِّها، لأن المجتمع الإسلامي الأول نهض وارتقى به، لقد أتى القرآن بتصور جديد للحياة والمجتمع. ...وبذلك التصور، وبالشريعة المستمدَة منه كان ذلك مولداً جديداً للإنسان أعظم في حقيقته من المولد الذي كانت به نشأته، لقد أنشأ هذا القرآن للبشرية تصوراً جديداً عن الوجود والحياة والقيم والنظم، كما حقق لها واقعاً اجتماعياً فريداً، كان يعز على خيالها تصوره مجرد تصور، قبل أن ينشئه القرآن إنشاء... ويحققه في حياتها..."[1]

إنَ تلاميذ اليوم والأمس لن تتفتح بصيرتهم إلا بالغوص في معاني القرآن ولن تتفتح مغاليق عسير النَحو لهم إلا به

إنَّ أهميَّة هذا البحث نابعة من أنَّ" الأصفهاني" أحد علماء التفسير المهتمين بالمنهج اللُّغويّ الذي يعتمد في الأساس على علم الدلالة بفروعه وسأبيّن ذلك في موضعِه.

ومن أسباب اختياري لذلك الموضوع هو اهتمام" الأصفهاني" بالمعاني وتنقله فيها بصورةٍ بارعةٍ ومتسلسلةٍ، ومن خلال ذلك الاهتمام يخرج لنا آراء لم يتطرق إليها علماء النَّحو، وقد هدف البحث إلى:

1 .بيان منهج الأصفهاني في استشهاده بالقرآن لتأصيل القواعد النحوية

2 . بيان مذهبه النحوي في الاعتماد على علم الدلالة؛ للخروج بمعنى واضح للكلمة؛ ليتم بذلك تحديد الموقع النحوي لها.

3 . توضيح انفراده بذلك المنهج في تقصي معنى الكلمة الدلالي، وبيان الفروق بين كلمة وأخرى. واستعماله لنظرية التضاد، والتضام وغيرها مما يشتمل عليه علم الدلالة.

وسيجيب البحث على الأسئلة التي على شاكلة، ما المسائل النحوية المتعلقة بالتعدية والتي استخدم فيها علم الدلالة؟ وهل وفِقَ في ذلك؟ هل آراؤه متوافقة مع آراء العلماء من قبله؟

من الدراسات السابقة المتعلقة بالأصفهاني، "**الفروق اللُّغويَّة عند الأصفهاني في كتابه المفردات و أثرها في دلالات الألفاظ القرآنية)**

إعداد محمد محمود موسى الزواهرة .إشراف مصطفى إبراهيم المثنى 2007.

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين 1385، ص5، ط 17، دار الشروق القاهرة، بتصرف

وقد تناولت الفروق اللغوية بين المفردات مثل الفرق بين الضلال التي بمعنى ضلَّ عن الطريق في قوله تعالى ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى ﴾[1]

والضلال الذي بمعنى النسيان في قوله تعالى ﴿ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾[2]

ورسالة أخرى بعنوان (**البحث الدلالي عند الراغب الأصفهاني من خلال كتابه المفردات في غريب القرآن)**

إعداد عمر حداورة، إشراف الأخضر حداد 1427 .2006

واشتملت على مدخل وفيه التعريف بمعنى التفسير والتأويل، وثلاثة فصول:

الفصل الأوَّل واشتمل على أهم المشكلات في الدرس الدلالي

الفصل الثاني: واشتمل على الراغب وينابيع ثقافته.

الفصل الثالث: واشتمل على النماذج التطبيقية لبعض الكلمات والفروق بينها كالفرق بين اللبث والمكث، والفرق بين الجدار والحائط، وبين القلب والفؤاد.....، واشتملت كذلك على الخاتمة والمراجع المستخدمة في البحث ركزت الدراستان كلتاهما على الفروق والتفسير ولم تتطرقا إلى النحو ولم أقف على دراسة تناولت أثر الدلالة على نحو الأصفهاني، ولا دراسة تناولت الأصفهاني النحوي في أي كتاب من كتبه

خطة البحث: اشتمل البحث على مبحثين لكلٍ منهما تمهيد وقسم كالآتي:

المبحث الأوَّل: علم الدلالة

تمهيد: التعريف بالأصفهاني

المطلب الأوَّل: الترادف

المطلب الثاني: المشترك اللفظي

المطلب الثالث: السياق

التعريف بالأصفهاني

هو الحسن بن محمد بن المفضل أبو القاسم الأصفهاني المعروف بالراغب اختلف في مذهبه فقيل من الكثير أنّه شيعيّ .وهو أديب وعالم . أصله من أصفهان، وعاش ببغداد . ألَّف عدة

(1) الآية 7 من سورة الضحى.

(2) الآية 20 من سورة الشعراء

كتب في التفسير والأدب والبلاغة. أُختُلِف في تاريخ وفاته والذي عليه أكثر المترجمين أنَّه توفي عام (502) أي أنّه عاش حتى أدرك من القرن السادس الهجري بضع سنين [1].

مؤلفاته

1. كتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة
2. كتاب الاعتقادات
3. تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين

والمادة العامة للكتاب هي تفصيل النشأتين وهي النشأة الدنيوية والنشأة الأخروية[2]

5. كتاب مقدمة في التفسير
6. كتاب مفردات ألفاظ القرآن الكريم

يقوم منهج مؤلِفه فيه على ترتيب المواد اللُّغويَّة على أساس الحروف الهجائية في أول المادة اللُّغوية لا في أواخرها ترتيباً ألفبائياً، وقسمه إلى أقسام سمى كل قسم منه كتاباً وهي موزعة على حسب ترتيب الحروف الهجائيَّة. وأهم المصادر التي اعتمد عليها الراغب في كتابه، "كتاب الشامل في اللغة" و"كتاب المسائل الحلبيات لأبي علي الفارسي "و" كتاب تهذيب الألفاظ لابن السكيت" [3].وأكَّد الراغب في مقدمة غريبه هذا أن أول ما يحتاج إليه المفسر من علوم القرآن، العلوم اللفظية [4]، ومن تلك العلوم تتحقق الألفاظ المفردة ونبه أيضاً على أن تحصيل معاني ألفاظ القرآن الكريم هو الطريق الأوَّل لمن يريد أن يدرك معانيه.

المطلب الأول: الترادف

علم الدلالة" هو مركب من علم، ودلالة، ودلّ ما يستدل به والدليل الّدال، وقد دّله على الطريق يدلّه بالضم دلالة، بفتح الدّال وكسرها، ودلوله بالضم والفتح أعلى، ويقال أدلّ فأملّ والاسم الدّالّة بتشديد اللام، وفلان يدل بفلان أي يثق به [5]

(1). الاعتقادات الراغب الأصفهاني. تحقيق شمران العجلي. مؤسسة الأشرف. بيروت لبنان ط1.1985 ص6

(2) تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين الراغب الأصفهاني، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان ص5

(3). المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع د.ت، د. ط

(4). المرجع نفسه والصفحة نفسها

(5). مختار الصحاح محمد بن أبي بكر الرازي تحقيق د. مصطفى دبب دار الهدى ط2. 1990 مادة د، ل، ل 88/1

وهو العلم الذي يتناول المعنى" وهو الفرع من علم اللغة الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الدليل اللغوي حتى يكون قادراً على حمل المعنى[1]

الترادف في اللغة" ردف: الردف: ما تبع الشيء وكل شيء تبع شيئاً فهو ردفه، وإذا تتابع شيء خلف شيء فهو الترادف

وترادف الشيء أي تبع بعضه بعضاً. والترادف التتابع [2]

اصطلاحاً" هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد. ....

والفرق بينه وبين التوكيد أن أحد المترادفين يفيد ما أفاده الآخر وفي التوكيد يفيد الثاني تقوية الأوّل، والفرق بينه وبين التابع أن التابع لا يفيد شيئاً كقولنا عطشان[3]

نخلص من التعريف إلى أن الألفاظ قد تتعدد للمعنى الواحد، أو تتعدد المعاني للفظ الواحد، قال سيبويه[4]" علم من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين [5]

ونخلص من كلامه أن الترادف ثلاثة أنواع:

1. المتباين (اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين) وهو أن يدل اللفظ الواحد على معنى واحد.

2. المشترك اللفظي (اتفاق اللفظين والمعنى مختلف) وهو أن يدل اللفظ الواحد على أكثر من معنى، وقد يستعمل اللفظ الواحد لمعنيين متضادين وهذا ما يسمى بالتضاد

3. المترادف (اختلاف اللفظين والمعنى واحد) وهو أن يدل أكثر من لفظ على معنى واحد

المطلب الثاني المشترك اللفظي:

الاشتراك اللفظي هو" أن يكون للكلمة الواحدة عدة معاني تطلق على كل واحد منها على طريق الحقيقة لا المجاز، وذلك كلفظ" الخال" الذي يطلق على أخ الأم، وعلى الشامة في الوجه، وعلى السحاب، وعلى البعير الضخم، وعلى الأكمة الصغيرة [6]

(1). علم الدلالة. أحمد مختار عمر، أستاذ علم اللغة. كلية دار العلوم. جامعة القاهرة. ص 11 12

(2). لسان العرب. ابن منظور. د.ط، د.ت، مادة ردف

(3). المزهر في علوم اللغة وأنواعها. جلال الدين السيوطي. تحقيق. محمد أبو الفضل إبراهيم علي محمد البجاوي المكتبة العصرية بيروت، ج1ص402

(4). هو عمرو بن عثمان بن قنبر، كان أديباً نحوياً، ت188 هـ طبقات النحويين ص 66

(5)الكتاب. سيبويه. تحقيق عبد السلام محمد هارون. المكتبة المصرية، القاهرة 1977، 24/1

(6). فقه اللغة علي عبد الواحد. دار النهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ط1، ص387

قال السيوطي [1]" وقد عدّه أهل الأصول بأنه اللفظ الواحد الدّال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة[2]

من أهم ما يميز المشترك اللفظي اتّصافه بصفة التوالد أو ما يسمى بتطور المعنى وهذا التطور كما ومعلوم مرتبط بعلاقتين تحكمانه وهما علاقة المجاورة والمشابهة

أمّا علاقة المجاورة فقد تكون مكانية كتحول معنى (ظعينة) وهي في الأصل (المرأة) في الهودج إلى معنى الهودج نفسه، وإلى معنى البعير وقد تكون علاقة المجاورة، زمانية كتحوّل معنى (العقيقة) وهي في الأصل: الشعر الذي يخرج على الولد من بطن أمّه إلى معنى الذبيحة التي تنحر عند حلق الشعر.

وأمّا علاقة المشابهة: كتحول معنى (الأفن) وهو في الأصل قلة لبن الناقة إلى معنى قلة العقل والسفه ومن التطور الدلالي وله علاقة بالمشترك اللفظي، أن تكون اللفظة تدل على معنى . معنيين . عام فبتقادم الزمن يتناسى المعنى العام، لتستعمل الكلمة في معنى خاص، فمن ذلك جميع المفردات التي كانت عامة المدلول، ثم شاع استعمالها في الإسلام فهي معاني خاصة تتعلق بالعقائد أو الشعائر والنظم الدينية، كالصلاة والحج والصوم، والمؤمن والكافر، والركوع والسجود، فالصلاة مثلاً معناها في الأصل الدعاء، ثم شاع استعمالها في الإسلام في العبادة المعروفة لاشتمالها على مظهر من مظاهر الدعاء حيث أصبحت لا تتصرف عند إطلاقها إلى غير هذا المعنى والبأس: في الأصل الحرب، ثم كثر استخدامه في كل شدة فاكتسب من هذا الاستخدام عموم معناه

والرائد في الأصل طالب الكلأ، ثم صار طالب كل حاجة رائداً [3]

المطلب الثالث: السياق

السياق هو علاقة الكلمة مع ما قبلها وما بعدها من كلمات الجملة، وهو الذي يعين قيمة الكلمة ويخلصها من الدلالات الماضية التي تدعمها الذاكرة وتتراكم عليها فيخلق لها قيمة حضورية. [4]وقد نبه عبد القاهر الجرجاني[1] إلى دور السياق في الكشف عن الاختلافات

(1). هو عبد الرحمن بن أبي بكر الخضري الأصل الطولوني المصري، عالم مشارك في أنواع من الفنون، إشارة التعيين 304/4

(2). المزهر للسيوطي 1 .387

(3)المشترك اللفظي في الحقل القرآني . عبد العال سالم مكرم . مؤسسة الرسالة. ط1 1996ص9

(4) . الوجيز في فقه اللغة . محمد الأنطاكي، مكتبة الشهداء، عبد السميع عفش للطباعة والنشر والتوزيع، د . ت ص375

الواردة بين الجمل المتشابهة في المعنى العام قائلاً: " لا سبيل إلى أن تجئ إلى معنى بيت الشعر، أو فصل من نثر فتؤديه بعينه. ... [2]، ولا يغرّنّك قول الناس: قد أتى بالمعنى بعينه، وأخذ معنى كلامه فأدّاه على وجهه، فإنّه تسامح منهم، والمراد أنّه أدى الغرض، فإمّا أن يؤدي المعنى بعينه على الوجه الذي يكون عليه في كلام الأوّل حتى لا تعقل ههنا إلّا ما عقلته هناك.

وعبَّر ابن القيم عن أهميَّة السياق في دراسة المعنى: " السِّاق يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدَّالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته فانظر إلى قوله تعالى ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [3] كيف تجد سياقه يدل على أنَّه الذليل الحقير. [4]، قال ابن جني (وكذلك تقول سألناه فوجدناه إنساناً وتمكن الصوت وتفخمه فتستغنى بذلك عن وصفه بقولك: إنساناً سمحاً أو جواداً أو نحو ذلك" [5]

وقد اهتمّ الأصفهاني بالسياق اللغوي غاية الاهتمام كما نلاحظ ذلك في جميع مسائله النحوية الّتي بناها في المقام الأوّل على فهم المعنى الدقيق للآية من الآيات. وكيف لا و"كلام العرب يصحح بعضه بعضاً ويرتبط أوله بآخره ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه واستكمال جميع حروفه فجاز وقوع للفظه على المعنيين لأنها تتقدمها ويأتي تقديمها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر، ولا يراد بها في حال التكلم والإخبار إلّا معنى واحد"[6]

وهناك كلمات من المشترك اللفظي لا يتضح معناها إلا من خلال وضعها في سياق معين وذلك مثل كلمة الضلال التي تأتي بمعنى، النسيان وبمعنى الحياد عن الطريق.

المبحث الثاني

نماذج تطبيقية للتعدية

تمهيد: التعدية

---

(1).أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني 471.400هـ، نحوي ومتكلم، ولد في جرجان لأسرة رقيقة الحال، نشأ ولوعاً بالعلم محباً للثقافة، فأقبل على الكتب وبخاصة كتب النحو والأدب

(2).دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني، ت محمد رضا بيروت، ط1998. ص177

(3). الآية 49 من سورة الدخان

(4)بدائع الفوائد ص 10.9

(5)الخصائص، ابن جني، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 2006ج2 ص271

(6) الأضداد محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق أبو الفضل إبراهيم لمكتبة العصرية، صيدا. بيروت. 1991. ص2

المبحث الأول: الفعل علم

المبحث الثاني: " جعل "

المبحث الثالث: " رأى "

المبحث الرابع: " حسب "

المبحث الخامس" الفعل ظن "

المبحث السادس: الفعل وجد

تمهيد:

التعدية:

عند تناول قضية التعدية في دراسة من الدراسات لا بد من الحديث عن المسائل الآتية:

المسألة الأولى: قد يتعدى الفعل اللاّزم، ويلزم المتعدي ومثل ذلك، " دَرَسَ الأثرُ"، و" درسْتُ "الأثرَ" و "سَرَحَتْ الماشيةُ" و"سَرَّحْتُ الماشيةَ" و"غَاضَ الماءُ"و "غاض اللهُ الماءَ"ومن القرآن قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[1]. ونفس الفعل متعدياً قوله تعالى: ﴿ لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾[2].

المسألة الثانية: قد يلزم الفعل لدلالته على معنى معين فإذا انتقل إلى معنى آخر تعدّى، ومن ذلك الفعل" أحْسِن "جاء لازماً في قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾[3] وهو هنا بمعنى" أنعِم "فعندما جاء بمعنى" أحسِن "أي أعْمل عملاً حسناً، تعدى، وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾[4].ومن ذلك أيضاً الفعل أسْلِم جاء لازماً في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[5].

وعندما جاء بمعنى" أخْلَص" تعدى وذلك في قوله تعالى: ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّهِ ﴾[6]

المسألة الثالثة: قد يتعدى الفعل إلى مفعول واحد بنفسه أو يتعدى إليه بالحرف، وقد يتعدى نفس الفعل إلى مفعولين بنفسه مرة، أو يتعدى إلى واحد بنفسه، وإلى الثاني بالحرف.

(1) الآية 71 من سورة الزمر.

(2) الآية 70 من سورة يس.

(3) الآية 77 من سورة القصص.

(4) الآية 23 من سورة يوسف.

(5) الآية 131 من سورة البقرة.

(6) الآية 20 من سورة آل عمران

ومن ذلك بالترتيب السابق الفعل، أثْمَنَ، نقول أثْمنْتُ الرَّجلَ وأثْمَنْتُ له، وأثمنتُ الرُّجلَ متاعَه، وأثمنتُ الرَّجُلَ بمتاعِهِ.

قال الزبيدي[1] في الفعل أثْمَنَ" أثْمنَ اسمٌ لما يأخذه البائع في مقابلة المبيع عيناً كان أم سلعة وكل ما يحصل عوضاً عن شيء فهو ثمنه... وفي سورة يوسف ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾... والجمع أثمان فمن رواه بفتح الميم يريد أكثرها ثمناً ومن رواه بالضم فهو جمع ثمن وأثمنه سلعته وأثمن له أعطاه ثمنها..."[2].

المسألة الرابعة: قد يلزم الفعل ثم يتعدى بهمزة التعدية أو بغيرها وذلك مثل الفعل أخرج في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ﴾[3].

المسألة الخامسة: قد يكون الفعل من الأفعال التي تتعدى بحرف الجر أصلاً، وتتعدى بأنفسها عرضاً –وهذا ما يسميه النحاة النصب على نزع الخافض - وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا﴾[4].

المسألة السادسة: قد يكون الفعل متعدّياً بنفسه –أي من أصل وضعه- ثم يتعدى بحرف الجر وذلك مثل" جاء" تعدى بنفسه في قوله تعالى: ﴿ وَجَاؤُواْ أَبَاهُمْ عِشَاء يَبْكُونَ ﴾[5] وتعدى بالحرف في قوله تعالى: ﴿ مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾[6]

وملخص ذلك أن تعدِي الفعل أو لزومه يعتمد في الغالب الأعم على معناه، وقد توسع العلماء في ذلك المعنى، وجعلوا بعض الأفعال تحمل معنى البعض الآخر، ومن ذلك الفعل" عَلِم" الذي يكون بمعنى الفعل" عَرَفَ". وقد خرج عليهم الأصفهاني فيما بعد بقوله إنَّ "عَلِم" لا يكون بمعنى" عَرِف"، وإنَ ل" عرِف "معناه الخاص به، ولقد اعتمد في ذلك الحكم على تفسيره لمفردات القرآن وسأتطرق لهذه المسألة وخلافها في ثنايا البحث.

---

(1) الزبيدي: السيد محمد بن محمد بن عبد الرزاق أبو الفيض الزبيدي اليمني ثم المصري الحنفي الفقيه الشهير بالمرتضى، ولد سنة 1145، ت 1205، من تصانيفه: إتحاف المتقين في شرح إحياء علوم الدين، تاج العروس 348/2.

(2) تاج العروس من جواهر القاموس، الإمام اللغوي، محب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي 157/9 – 158، دار صادر، بيروت.

(3) الآية 32 من سورة الأعراف.

(4) الآية 155 من سورة الأعراف.

(5) الآية 16 من سورة يوسف.

(6) الآية 160 من سورة الأنعام.

كما تبحر لنا في معاني شائقة من معاني الأفعال وتنقل بينها، موضحاً الفروق في الاستعمال ومتى يكون فعل (ما) حاملاً معنى الظَن ومتى يكون حاملاً معنى اليقين وهكذا.

الفعل (عَلِمَ)

عَلِمْتُ الشيء أعْلَمُهُ عِلْماً عَرَفْتُهُ، وجاء في اللّسان بمعنى" شَعَر". يقول ابن منظور" عَلِم بالشيء: شَعَر. يقال: ما عَلِمْتُ بخبر قدومه أي ما شعرت. وعَلِمَ الأمر وتعلَّمَهُ: أتقنه، وقال يعقوب: إذا قيل لك أعْلَمْ كذا قُلْتُ قد عَلِمْتُ، وإذا قيل لك تعَلَّم لم تقل قد تعلَّمْت. وعلمْتُ يتعدى إلى مفعولين، ولذلك أجازوا عَلِمْتُني كما قالوا ظننتني ورأيتُني وحَسِبتُني..."[(1)].

وتأتي (عَلِمَ)بمعنى (عَرَف) هكذا قال النّحاة وفي هذه الحالة أي الأولى بمعنى العلم تتعدى لاثنين نحو قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾[(2)] وإن كانت بمعنى" عَرَف "تعدت لواحد نحو ﴿ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾[(3)] وإن كانت بمعنى علِم علِمَهُ فهو أعْلم أي مشقوق الشفة العليا فتتعدى لواحد أيضاً.

وأما علم التي بمعنى عرَفَ بقول سيبويه" وقد يكون علمت بمنزلة عرفت.. فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ ﴾[(4)] وقوله تعالى: ﴿وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾[(5)] فهي ههنا بمنزلة عرفت"[(6)].وفي الألفية[(7)]"إذا كان علم بمعنى" عرف" تعدت إلى مفعول واحد

قال ابن مالك". . علم لعرفان لا نصب. "[8]وقال الفاكهي[1]" وعلم بمعنى تيَقَّنَ لا بمعنى "عرف" ولكن الأصفهاني له رأيٌ مختلف فهو يهتم بالسياق الذي ترد فيه الكلمة من الكلمات

(1) لسان العرب، ابن منظور، مادة علم 264/10.

(2) الآية 10 من سورة الممتحنة.

(3) الآية 78 من سورة النحل.

(4) الآية 65 من سورة البقرة.

(5)الآية 60 من سورة الأنفال.

(6)الكتاب 18/1.

(7) شرح ابن عقيل بهاء الدين عبد الله بن عقيل / محمد محي الدين عبد الحميد جزء1 . المكتبة العصرية . بيروت . تبنان ص400

(8)شرح الكافية الشافية محمد بن عبدالله بن مالك تحقيق عبد المنعم هريدي . جامعة أم القرى . ط1 . جزء2 . ص5

حسب الموقع الذي وقعت فيه ثم يعقد مقارنة دقيقة في ما بينها بشرح المفردات شرحاً دقيقاً فنراه يقول: إنَّ العلم ضربان، أحدهما إدراك ذات الشيء. والثاني: الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له أو نفي شيء هو منفيٌ عنه، فالأول هو الذي يتعدى إلى مفعول واحد وليس هو الذي بمعنى" عَرَف" وإليك ذلك كما جاء في المفردات.

يقول الأصفهاني:" المعرفةُ والعِرْفانُ إدْراكُ الشيء بتفكُّر وتَدَبُّر لأثره وهو أخفُّ من العلم ويُضادُّه الإنكار، ويُقال فُلانٌ يعرِفُ الله ولا يُقالُ يَعْلَمُ الله متعدّياً إلى مفعول واحد لمَّا كان معرفةُ البشر لله هي بتدبُّر آثارِه دُونَ إدراك ذاتِه، ويُقالُ اللهُ يعْلمُ كذا ولا يقال يعْرِف كذا، لما كانت المعرفة تستعمل في العلم القاصر المتوصّل له بتفكُّر، وأصله من عَرَفتُ أي أصبْتُ عَرْفَهُ أي رائحتهُ، أو من والأول هو الذي يتعدى إلى مفعول واحد وليس هو الذي بمعنى أصَبْتُ عرْفَهُ أي خدَّه، يُقال عَرَفْتُ كذا قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ...﴾[2].

ذلك فيما يتعلق" بعرَف "أمّا" علم" يقول الأصفهاني: "العلمُ إدْراكُ الشيء بحقيقته؛ وذلك ضربان: أحدُهُما إدراك ذات الشيء. والثاني الحُكمُ على الشيء بوجودِ شيء هو مَوْجودٌ له أو نفي شيء هو منفِيٌ عنه. فالأول هو المتعدي إلى مفعولٍ واحدٍ نحو ﴿لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ والثاني المتعدي إلى مفعولين نحو قوله: ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾[3].

ومن هنا يتبين لنا أن لعرف معناها الخاص بها وإن أحد جزئ" علم" هو الذي ينصب مفعولاً به واحداً وليس له علاقة" بعرَف "التي تنصب بدورها مفعولاً واحداً ومع ذلك نجد" أبو حيان "مثلاً يقول" وجاءت عَلِمَ بمعنى عَرَف وهو أكثر مواضعها في القرآن وفي لسان العرب ومن ذلك قوله تعالى:﴿وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾[4].ومن هنا يتبين لنا أيضاً أن لفظ العلم أعمَّ وأشمل من لفظ المعرفة وقد وعى الأصفهاني ذلك وتفهمه وأثبته بالدليل القرآني، وبين الفرق بين الكلمتين، وأوفاهما حقهما، ولعله اتَّبع نهج من سبقوه في الاهتمام بالفروق اللغوية.

---

(1)مجيب النداء إلى شرح قطر الندى. جمال الدين بن عبد الله بن أحمد الفاكهي. تحقيق إبراهيم جميل ط1 مكتبة المتنبي ص441

(2) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، د. ط، د. ت، ص331.

(3) المرجع نفسه، ص343.

(4) الآية 78 من سورة النحل.

الفعل" جَعَلَ"

تأتي (جعل) بمعنى صيَّر جاء في المختار" جَعَل" كذا من باب قطع... و" جَعَله" ليّاً صيره وجعلوا الملائكة إناثاً سموهم[1]. وتأتي بمعنى اعتقد وبمعنى صيّر وبمعنى أوْجَدَ وألقى وأوجب وفي هذه الحالة تتعدى إلى واحد. قال السيوطي:" جعل بمعنى اعتقد نحو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا﴾[2] أي اعتقدوهم، وبمعنى أوجَدَ نحو: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾[3] وأوجب نحو جعلت للعامل كذا أو ألقى نحو:" جعلت بعض متاعك على بعض تعدت إلى واحد)[4].

وفصّل المبرد في" جعل" أكثر من هذا فقال" ولها وجهان، أحدهما أن تكون بمعنى صيَّرت فلا بد أن تتعدى إلى مفعولين. والآخر: أن تكون بمعنى عملت وخلقت فلا تتعدى إلا إلى واحد. وننتقل إلى الأصفهاني الذي يتنقل بنا أوَّلا لمعاني متعددة للفعل

يقول: "جعل لفظ عام في الأفعال كلِها وهو أعمُّ من فعل وسائر أخواتها ويتصرف على خمسة أوجه

الأول يجري مجرى صار وطفق فلا يتعدى نحو جعل زيدٌ يقول كذا

الثاني يجري مجرى أوجد فيتعدى إلى مفعول واحد

الثالث في إيجاد شيء من شيء وتكوينه منه 0 وجعل لكم من أنفسكم أزواجاً. .

والرابع في تصيير الشيء على حالة دون حالة نحو ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا ﴾

الخامس الحكم على الشيء بالشيء حقاً كان أو باطلاً فإمَّا الحق نحو ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [5] وأمّا الباطل فنحو قوله تعالى ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا...﴾[6]

من العرض السابق نتبيّن الآتي، الفعل" جعل عند المبرد يحتمل وجهين عندما يكون بمعنى" التصيير" أحدهما يتعدى لواحد والآخر له وجهان أيضاً، أولهما" كأعطى" في المعنى والآخر جعل له وجهان أيضاً. .. اختصر" الأصفهاني". بعد أن تبحر في المعاني الجميلة السابقة. ذلك بقوله،

(1) مختار الصحاح، ص105.

(2) الآية 19 من سورة الزخرف.

(3) الآية 1 من سورة الأنعام.

(4)الهمع، ص151.

(5). سورة الأنعام الآية 136.

(6). المفردات الأصفهاني ص 94.

إنّ جعل يأتي بمعنى الحق مرة وبمعنى الباطل أخرى، كما يجري مجرى صار وطفق وهو في هذه الحالة لا يتعدى، وقد يجري مجرى أوجد ويتعدى إلى مفعول واحد، ويأتي معناه في إيجاد شيء من شيء وتكوينه منه، أو الحكم على الشيء بالشيء، وقد تعددت المعاني للفظ الواحد، مما أوجد حالات مختلفة، وهو من المشترك اللفظي الذي تكون للكلمة الواحدة فيه عدة معاني تطلق على كل واحد منها على طريق الحقيقة لا المجاز، وقد عدَّه أهل الأصول بأنَّه اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة. [1]

الفعل (رَأَى)

رأى الشيء أبصره بحاسة البصر وتحذف الهمزة من مضارعه فنقول ترى، ونرى، ويرى، والأصل رأى يرأى، قال ابن منظور" رأى الرؤية بالعين تتعدى إلى مفعول واحد، وبمعنى العلم تتعدى إلى مفعولين؛ يقال: رأى زيداً عالماً ورأى رأياً ورؤية وراءة مثل راعه... ومنه أرأيتك وأنت تقول أخبرني، فتهمزها وتنصب التاء منها وتترك إن شئت. (وأرى، قال شمر: العرب تقول أرى الله بفلان أي أرى الله الناس بفلان العذاب والهلاك. وقد تكون من رؤية العين أو رؤية القلب أو من الاعتقاد السائد"[2].

إذن هي تتعدى إلى واحد إن كانت بمعنى أبصر وأما التي بمعنى اعتقد فهي تتعدى لواحد أو اثنين قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾ [3] أي يظنونه ونراه قريبا أي نعلمه" قال الزجَاجي فإن كانت بمعنى أبصر تعدَت لواحد قال الفارسي وابن مالك وكذا التي بمعنى اعتقد قال أبو حيَان وذهب غيرهما إلى أن التي بمعنى اعتقد تتعدى إلى اثنين. ...." [4]

وأمَّا الأصفهاني فهو لا يرد على ما سبق وإنَّما يتناول الفعل ويحلله بأسلوبه الخاص به وحده، وذلك من السياق العام الذي ترد فيه الآية من الآيات يقول" رأى عيُنُه همزةٌ، ولامه ياء لقولهم (رؤية) وتحذف الهمزة من مستقبله فيقال نرى، وترى، ويرى، قال تعالى" فإمَا ترِينَ من البشر أحدا، وقال أرِنا اللذين أضلَانا من الجن والإنس. ..." وقال: " الرؤية إدراك المرئي وذلك أضرب:

(1). المزهر للسيوطي مرجع سابق .

(2) اللسان، مادة رأى 66/6- 69.

(3) الآية 6 من سورة المعارج.

(4)الهمع ص 744 ن ج2

الأول: بالحاسة وما يجري مجراها نحو: ﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾ [1] فإنَه مما أجرى مجرى الرؤية الحاسة، فإنَ الحاسة لا تصح على الله تعالى عن ذلك

والثاني بالوهم والتَخيل نحو أرى أنَّ زيداً منطلقٌ، ونحو قوله تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾

والثالث: بالتفكر نحو﴿إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ ﴾

والرابع: بالعقل وعلى ذلك قوله ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾ [2] ورأى إذ ا عُدَي اقتضى معنى العلم نحو ﴿ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ ﴾ [3] والرأي اعتقاد النفس أحد النقيضين عند غلبة الظن وعلى ذلك قوله تعالى ﴿ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ﴾ [4] أى يظنونهم بحسب مقتضى مشاهدة العين مثليهم. ..... وإذا عُدِى رأيتُ بإلى اقتضى معنى النظر المؤدي إلى الاعتبار نحو: ﴿ألم تر إلى ربك﴾ [5] وقوله ﴿ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾ [6] أي بما علَمك. إذن الرؤية أنواع، بالحاسة وما يجري مجراها، وبالوهم والتَّخيل، وبالتَّفكر، وبالعقل، وتتضح المعاني في ذلك أكثر بالتضام؛ وذلك أن أي لفظة يتحدد معناها من خلال السوابق واللواحق مثلما هو الحال بخصوص حروف الجر والإضافة وذلك في استشهاده ب ﴿ألم تر إلى ربّك﴾ و ﴿بما أراك الله﴾ على الترتيب والشاهد هنا هو أن تعدية رأى بحرف الجر أدى إلى تغيُّر المعنى، وتغيُّر المعنى سببه التعدية بحرف الجر.

وكذلك الحال في إضافة رأى إلى الكاف في قوله (بما أراك الله) أدى إلى تعديته وتغيُّر المعنى من الظن إلى العلم.

الفعل (حسِب)

حسبه عدَه قال الرازي" ح س ب- (حَسَبَهُ) عَدّهُ وبابه نَصَرَ وكتب و (حساباً) أيضاً بالكسر و (حُسْباناً) بالضم..."[7].وتأتي بمعنى الظّنّ واليقين قال السيوطي" فمن الظنّ قوله تعالى: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾[8] قال الأصفهاني (... وقيل احتسب ابناً له أي اعتدَ به عند الله

(1) الآية 6 من سورة التكاثر

(2) الآية 12 من سورة النجم

(3) الآية 5 منسورة سبا

(4) الآية 13 من سورة ال عمران

(5) الآية 46 من سورة الفرقان

(6) الآية 105 من سورة النساء

(7) مختار الصّحاح، ص134.

(8) الآية 18 نم سورة المجادلة.

والحسبة فعل ما يحتسب عند الله تعالى ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ ﴾ . ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ﴾[1] . ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾ . ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ﴾ . ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ ﴾ فكل ذلك مصدره الحِسبان....)

(.... والحسبان أن يحكم لأحد النقيضين من غير أن يخطر الآخر بباله فيحسِبُهُ ويعقد عليه الأُصبع ويكون بِعرض أن يعتريه فيه شكٌ، ويقارب ذلك الظن، لكن الظن أن يخطر النقيضين بباله فيغلب أحدهما الآخر)[2] ومن هذا يتبين لنا إنَّ " الأصفهاني " ينفي أن يتضمن الفعل " حسِب " معنى الظن ، وهذا واضح من خلال الآيات التي تمثَل بها ، معرفاً الحسبان بأنَّه : أن يحكم لأحد النقيضين من غير أن يخطر الآخر بباله فيحسِبُه ويعقد عليه الأُصْبُع ويكون بعرض أن يعتريه فيه شك ، ويقرب ذلك الظن .

ثم أوضح معنى الظن قائلاً : الظن أن يخطر النقيضان بباله فيغلب أحدُهما الآخر ، والفرق بينه وبين الحسبان ،أن الشخص في الحسبان يحكم لأحد الشيئين دون أن يخطر الآخر بباله .

وإنني أوافق الأصفهاني الرأي في ما ذهب إليه ؛ لأنه قد استوفى المعنى الدقيق لمعنى الحسبان ولم يتقيَّد بما ذكره غيره؛ ولأن كلام العرب يصحح بعضه بعضاً ، ويرتبط أوله بآخره ولا يُعرف معنى الخطاب منه ألّا باستيفائه واستكمال جميع حروفه فجاز وقوع اللفظة على المعنيين لأنَّها تتقدمها ويأتي تقديمها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر ، ولا يراد بها في حال التكلم والإخبار إلَّا معنً واحداً[3]وهو بهذا يؤكد الاهتمام بمعنى الكلمة في سياقها الذي وردت فيه .

الفعل (ظنَّ)

الظن مصدر خلاف اليقين جاء في المصباح المنير" الظنّ مصدر من باب قتل وهو خلاف اليقين قاله الأزهري وغيره وقد يستعمل بمعنى اليقين كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ ﴾ ومنه" المظنة" بكسر الظاء للمعلم وهو حيث يعلم الشيء.

(1) الآية 2 من سورة العنكبوت

(2)المفردات ص 117. 118

(3) الآية 42 سورة ابراهيم

والجمع" المظانُ" قال ابن فارس (مَظَنّةُ) الشيء موضعه ومألفه و (الظّنةُ) بالكسر التهمة وهو اسم من ظننته من باب قتل أيضاً إذا اتهمته فهو (ظنين) فعيلٌ بمعنى مفعولٍ وفي السبعة" ما هو على الغيب بظنين "أي بمتهم و" ظننتُ" به الناس عرضته للتهمةٍ)[1].

إذن الظنّ هو التردد الراجح بين طرفي الاعتقاد غير الجازم، أو خلاف اليقين وقد يستعمل بمعنى اليقين أو العلم ولكنه ليس كثيراً قال السيوطي[2]" فمن استعمالها بمعنى الظن قوله تعالى: ﴿ إِن نَّظُنُّ إِلَّاظَنًّا وَمَانَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾[3] وبمعنى اليقين قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ﴾[4]

قال الرضي في شرح الكافية:" حذف المفعولين معاً في باب أعطيت يجوز بلا قرينة دالة على تعينهما... بخلاف مفعولي علمتُ وظننتُ لعدم الفائدة"[5].أمّا الأصفهاني فهو يمضي في تناول الفعل" ظن" على طريقته مفسرا وفق السياق العام يقول "الظن اسمُ لما يحصل من إمارة ومتى قويت أدَت إلى العلم، ومتى ضعفت حدَاً لم يتجاوز حد التوهم. ومتى قوي أو تصوَر القوي استعمل منه أنَ المشددة وأن المخففة منها، ومتى ضعُف استعمل منه أنَ وأنِ. ...." أي جعل لنا إمارة تبين لنا متى يحمل الفعل" ظنَ"معنًى من المعاني قال". ... فقوله ﴿الذين يظنون أنَهم مُلاقو ربِهم .وكذا يطنُون أنَهم مُلاقو الله﴾ فمن اليقين ﴿وظنَ أنَه الفراق. ..... وقوله وظنَ أهلُها أنَهم قادرون عليها﴾ تنبيهاً أنَهم صاروا في حكم العالمين بفرط طمعَهم وأملِهم وقوله ﴿وظنَّ داؤود أنَما فتنَاه﴾ أي علم . ....[6]. وهي في كل هذا بمعنى اليقين لاقترانها بأنَّ تنبيهاً بأنهم صاروا في حكم العالمين لفرط طمعهم وأملهم.

وهذه الإمارة تقوى نحو اليقين وتضعف نحو الشك حسب المعنى الذي تحمله الآية من الآيات، وقوله (واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنُّوا أنَّهم إلينا لا يرجعون) فإنَّه استعمل فيه أن المستعملة مع الظن الذي هو للعلم تنبيهاً أنهم اعتقدوا ذلك اعتقادهم للشيء المتيقن وإن لم يكن ذلك متيقناً.

(1)المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ص387.

(2) هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر الخضري الأصل الطولوني المصري، عالم مشارك في أنواع من الفنون، معجم المؤلفين 82/2.

(3) الآية 32 من سورة الجاثية.

(4)الآية 46 من سورة البقرة.

(5)شرح الكافية للرضي 259/2.

(6)المفردات 317 318.

وهو هنا يضيف لنا قاعدة التمييز حسب السَّوابق واللواحق ومتى تحمل الكلمة معنى الاعتقاد، ومتى تحمل معنى الجزم، فيقول: (فمتى قوى أو تصور القوي استعمل معه أن المشددة و(أن)المخففة منها. ومتى ضعُف استعمل أن المختصة بالمعدومين من القول والعمل.

كما يضع لنا حسماً للجدال في ظاهرة الأضداد في هذه الظاهرة. ظاهرة الشك واليقين .؛ بقوله: وهذه الإمارة تقوى نحو اليقين وتضعف نحو الشك حسب المعنى الذي تحمله الآية من الآيات. والكلام في مجملة يؤدي للتأكيد على الاهتمام بالسياق الذي ترد فية الكلمة من الكلمات وتحديد المعنى الدقيق.

وهذا ما يدعوني دائماً للإعجاب بما يقوله وخصوصاً عندما أُمعن النظر في قول ابن القيم السابق: وينبغي أن يتفطن ههنا لأمر لا بد منه وهو أنَّه لا يجوز أن يحمل كلام الله عز وجل ويعتبر بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي الذي يحتمله ترتيب الكلام ويكون الكلام به له معنى ما فإنَّ هذا مقام غلط فيه أكثر المعربين للقرآن. [1]

الفعل وجد

وجد الشيء يجده وجُوداً: ووجْداناً عثر عليه أو أدْركه جاء في المختار" و ج د و جد" مطلوبه يجده بالكسر... و (وجَدَ) ضالته وجْداناً و (وَجَد) عليه الغضب... وهي تتعدى إلى فعل واحد، كما تتعدى إلى اثنين بمعنى علم في قوله تعالى:﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾[2].

تناول الأصفهاني الفعل" وجد" تناولاً دقيقاً، موضحا شارحاً مدققاً قال". ... الوجود أضرب: وجودٌ بإحدى الحواس الخمس نحو وجدتُ زيداً، ووجدتُ طعمه، ووجدتُ صوته، . ... ووجود بقوة الشهوة وجدتُ الشبع، ووجود بقوة الغضب، كوجود السخط والحزن، ووجود بالعقل كمعرفة الله تعالى ومعرفة النبوة وما ينسب إلى الله تعالى من الوجود، فبمعنى العلم المجرد إذ كان الله منزهاً عن الوصف بالجوارح فوجود بالبصر والبصيرة فقد كان منه مشاهدةً بالبصر واعتباراً لحاله بالبصيرة ولولا ذلك لم يكن له أن يحكم بقوله ﴿وجدتُها وقومها. .﴾ [3]

ينطلق بنا الأصفهاني إلى آفاق رحبة لمعنى وجد، وفي واقع الأمر فإن الحواس تضعف وتقوى بحسب كل حالة، ويضعف ويقوى تبعاً لذلك الوجود، فوجود البصر مثلاً ملاحظاً في

(1).بدائع الفوائد ، مرجع سابق ، ص26

(2) الآية 7 من سورة الضحى.

(3)) المفردات ص 512

قوله تعالى ﴿وجدتها وقومها﴾ [1]..... إلى آخره من المعاني، التي يتعدى الفعل بموجبها إلى اثنين أو إلى واحد.

وأنا أرى أنَّه بذلك وضع مثالاً رائعاً للمشترك اللفظي؛ بقوله الوجود أنواع: وجود بإحدى الحواس الخمس، ووجود بقوة الشهوة، ووجود بقوة الغضب، ووجود بالعقل، ووجود بمعنى العلم، وضرب لكل معنى من المعاني مثالاً، فوجود الحواس مثاله وجدتُ طعمه، ووجود الشهوة مثاله، وجدت الشبع، ووجود الغضب مثاله وجدتُ السخط، ووجود العقل مثاله وجدتُ الله. .

وأنا أؤيد ما ذهب إليه الأصفهاني خصوصاً أنَّه وضع السِّياق الذي يرشد إلى - تبيين المجمل وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، والذي يوضح أن هذا من أعظم القرائن الدَّالة على مراد المتكلم"[2] . وضعه نصب عينيه؛ ومن خلاله عرفنا المعنى الدقيق الذي بموجبه يتعدى الفعل لاثنين أو إلى واحد.

الخاتمة:

بحمد الله وتوفيقه انتهى البحث ولم ينته الحديث عن أثر الدلالة على النحو عند الأصفهاني وقد خلصت إلى النتائج الآتية:

اهتم الأصفهاني بعلم الدلالة في مسائله النَّحوية، وهو الفرع من علم اللغة الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الدليل اللَّغوي حتى يكون قادراً على حمل المعنى، وتحديد المعنى وعلاقته بالتَّعدية؛ هو أن الفعل تُعْرف تعديته إلى واحد أو اثنين أو عدم تعديته على ضوء معناه

ومن ذلك الاهتمام بالدلالة، اهتمامه بالسياق الذي ترد فيه الكلمة من الكلمات حسب الموقع الذي وقعت فيه، ثم يعقد مقارنة دقيقة في ما بينها بشرح المفردات شرحاً دقيقاً؛ من ذلك شرحه لمفردتي العلم والمعرفة والتفريق بين المعنيين، يقول: إن العلم ضربان، أحدهما إدراك ذات الشيء، والثاني الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له أو نفي شيء هو منفي عنه والأوَّل هو الذي يتعدى إلى مفعول واحد وليس هو الذي بمعنى عرف كما قال بذلك العلماء الذين افترضوا تعدية الفعل" علم" الذي بمعنى الفعل" عرف" في جميع أحواله.

(1)الآية النمل الآية 24

(2). بدائع الفوائد ، مرجع سابق ، ص9

وهو من خلال استيفائه لمعنى الفعل" علم" قد أوضح لنا أن لفظ العلم أعمَّ وأشمل من لفظ المعرفة وفي ذلك غاية الاهتمام بالفروق اللغوية التي أولاها العلماء اهتمامهم.

ومن اهتمامه بالسياق أيضاً تفسيره الدقيق للفعل" حسِب" الذي يتعدى لمفعولين والفرق بينه وبين الفعل" ظن" بقوله: الظن أن يخطر النقيضين بباله فيغلب أحدهما الآخر، والحسبان أن يحكم لأحد النقيضين من غير أن يخطر الآخر بباله [1].وهو بهذا قد استوفى المعنى الدقيق لمعنى" الحسبان" ولم يتقيّد بما ذكره غيره وقد وافقته في كلِّ ما سبق، لأن كلام العرب يصحح بعضه بعضاً، ويرتبط أوله بآخره ولا يُعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه واستكمال جميع حروفه.

وكذلك اهتمَّ بالمشترك اللفظي الذي تكون للكلمة الواحدة فيه عدة معاني تطلق على كلِّ واحدٍ منها على طريق الحقيقة لا المجاز؛ وذلك بتفسيره لمعنى الفعل" جعل" الذي يتعدى لمفعولين بقوله" أن جعل يأتي بمعنى الحق مرة، وبمعنى الباطل أخرى كما يجري مجرى أوجد ويتعدى إلى مفعول واحد، ويأتي معناه في إيجاد شيء من شيء وتكوينه منه، أو الحكم على الشيء بالشيء، ولكل معنى من المعاني السابقة حالة مختلفة يتعدى الفعل بموجبها إلى واحد أو اثنين [2]

ومن اهتمامه بالدلالة اهتمامه بظاهرة التضام؛ وهو أن أي لفظة يتحدد معناها من خلال السوابق واللواحق وتبعاً لذلك فقد اهتم باللواحق التي لحقت الفعل" رأى" الذي يتعدى إلى مفعولين وذلك في استشهاده ب" ألم تر إلى ربّك" [3]و" بما أراك الله" [4]؛ فتعدية الفعل" رأى" بحرف الجر أدى إلى تغيُّر المعنى وتغيُّر المعنى سببه التعدية بحرف الجر.

وكذلك الحال في إضافة الفعل" رأى" إلى الكاف الذي أدَّى إلى تعديته وتغيُّر المعنى من الظن إلى العلم [5]

ومن اهتمامه بالدلالة اهتمامه بظاهرة التضاد؛ ومنه أنَّه جعل لنا إمارة تفرق بين المتضادين (الشك واليقين)؛ وذلك عند تفسيره لمعنى الفعل" ظن" وهذه الإمارة تقوى نحو اليقين وتضعف نحو الشك حسب المعنى الذي تحمله الآية من الآيات يقول: " فمتى قوي أو تصور

(1)المفردات ، ص 117

(2). الاضداد ، مرجع سابق ص 2

(3)الآية 45 من سورة الفرقان

(4)الآية 105 من سورة النساء

(5) المفردات ، ص 115

القوي استعمل معه أن المشددة وأن المخففة منها ومتى ضعف استعمل أن المختصة بالمعدومين من القول والفعل[1]

يسلك" الأصفهاني" في تناوله للمسائل النحويَة طريقاَ متدفقاَ بالمعاني الجميلة الأخاذة مستدلاً في ذلك بالقرآن وبمعاني مفرداته التي يقدمها برهاناً قويَاً تهدم عنده كل الحجج، وهو فوق ذلك يمتلك قوة فذةً في الربط بين المعاني، التي تتبين من خلالها عظمة القرآن الكريم في نظمه، وبديع فوائده.

إنَّ اهتمام الأصفهاني بعلم الدلالة قد ألقى بالظلال الآتية على درسه النحوي:

1 . اختصار التطويلات النحوية، ومن ذلك اختصاره لقول المبرد السابق". ... و"جعل" لها وجهان أحدهما أن تكون بمعنى صيَرت فلا بد أن تتعدى إلى مفعولين. [2]

2 .يورد القضية وفي طيها البرهان العقلي من القرآن وذلك مثلاً في كلامه عن الفعل جعل بمعنى اعتقد." [3]

3 .يتعمق في معاني الأفعال حتى يتبين لمستخدمها المعنى الذي يسعى لبيانه. "[4]

4. يركز الأصفهاني على مسألة التحقق من معنى الفعل الذي يراد تعديته وعلى عدم تحميل فعل معنى فعل آخر من غير تدبُر لمعناه؛ فيجب ألا نقول إنَّ"عَلِم" عندما تكون بمعنى" عَرَف "تتعدى إلى واحد؛ لأنها لا تكون بمعنى عرف إطلاقاً؛ وذلك لأن العلم ضربان أحدهما إدراك ذات الشيء، والثاني الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له أو نفي شيء هو منفيٌّ عنه، والأول هو الذي يتعدى إلى مفعول واحد وليس هو الذي بمعنى" عرف" والتي تنصب بدورها مفعولاً به واحداً.

5 . يركز" الأصفهاني على تحري الدليل الذي يجعل فعل ما حاملاَ لمعنى فعل آخر وذلك عند حديثه عن الفعل" ظنَّ"". ..والظن اسمٌ لما يحصل من إمارة ومتى قويت أدت إلى العلم . "[5]

(1). المفردات ص209

(2)المغتضب مرجع سابق 4 /70

(3)المفردات ، ص 220

(4) المرجع نفسه ص331

(5)المرجع نفسه ، ص 317

6 .وينطلق بنا" إلى آفاق رحبة لمعنى الفعل الواحد ومن ذلك حديثه عن الفعل" وجد"، قال".. ... الوجود أضرب وجودٌ بإحدى الحواس الخمس. ... ووجودٌ بقوة الغضب. .....ووجودٌ بالعقل. .....فوجودٌ بالبصر والبصيرة. ....." [1]

هذا غيض من فيض بحره الغزير، ومن أراد الاستزادة فعليه الرجوع إلى المصدر

فهرس المصادروالمراجع

1.القرآن الكريم

1- إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، تأليف عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني، تحقيق د. عبد المجيد دياب، الطبعة الأولى، شركة الطباعة السعودية، 1406هـ- 1986م.

2- الأضداد، محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1991.

3- الاعتقادات، الراغب الأصفهاني، تحقيق شمران العجلي، مؤسسة الأشرف، بيروت لبنان، ط1 1985.

4- بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية المتوفى (691 . 751) تحقيق علي بن محمد العمران، طبعة مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي النحوية، دار علم الفوائد.

5- تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، الراغب الأصفهاني، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

6- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمَّنة من السنة وآي الفرقان، تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أي بكر القرطبي، ت 671 هـ تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي.

7- حاشية الصبان على شرح الأشموني، محمد بن علي الصبان، د.ت، د، ط.

8- الخصائص، ابن جني، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 2006.

9- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد رشيد رضا، بيروت ط1998.

10- الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني، تحقيق أبي اليزيد العجمي، دار الوفاء ط1، 1983.

11- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، جزء1، المكتبة العصرية، بيروت.

12- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، دار صادر، بيروت، د. ط، د. ت.

13- شرح ألفية ابن مالك، لابن الناظم، تحقيق عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، د. ط، د. ت.

14- الصحاح في اللغة والعلوم، للجوهري، تقديم عبد الله العلايلي، إعداد نديم مرعشلي، أسامة مرعشلي، الطبعة الأولى، دار الحضارة العربية، بيروت، 1975م.

15- علم الدلالة، أحمد مختار عمر، أستاذ علم اللغة، كليَّة دار العلوم، جامعة القاهرة.

(1) المرجع نفسه ، ص512

16- فقه اللغة، علي عبد الواحد، دار النهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ط1.
17- في ظلال القرآن. سيد قطب إبراهيم 1385. دار الشروق القاهرة. ط17. 1412.
18- الكافية الشافية، ابن مالك، تحقيق د. أحمد هريدي، د. ط، د. ت.
19- الكتاب، سيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، المكتبة المصرية، القاهرة، 1977م.
20- لسان العرب، ابن منظور، د. ط، د. ت.
21- مجيب النداء إلى شرح قطر الندى. جمال الدين بن عبد الله بن أحمد الفاكهي. تحقيق إبراهيم جميل محمد إبراهيم ط1. مكتبة المتنبي
22- مختار الصحاح، الرازي، رتبه محمود خاطر، مراجعة لجنة من مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، د. ت.
23- المزهر في علوم اللغة وأنواعها. جلال الدين السيوطي، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية بيروت، ج1.
24- المشترك اللفظي في الحقل القرآني، عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة ط1 1417 هـ 1996م.
25- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للرافعي، تأليف أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، تحقيق د. عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، د. ط، د. ت.
26- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، 1414هـ- 1993م.
27- المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، د. ط، د. ت.
28- المقتضب، للمبرد، تحقيق حسن حمد، مراجعة الدكتور إميل يعقوب، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، 1420هـ- 1999م.
29- همع الهوامع، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، د. ت، د. ط.